

بمناسبة صوم الرسل

نقتبس من كتاب "الكنيسة المسيحية في عصر الرسل"

لمثلث الرحمات المتتيح الأنبا يوانس  
أسقف الغربية

## مولد الكنيسة

### لماذا ندرس تاريخ الكنيسة

قبل أن نخوض في بحث تاريخ الكنيسة في عصرها الرسولي، نتوقف قليلاً لنعرف الإجابة على هذا السؤال. ومنه سيتضح أن دراسة تاريخ الكنيسة ليست دراسة جافة كما يتصورها البعض، بل إنها تفتح آفاقاً، تعيننا في العمل كل مجد الله، وخلص نفوسنا... ونجمل إجابة السؤال فيما يلي:

1- إننا بدراستنا لتاريخ الكنيسة المسيحية، إنما ندرس موضوع ملكوت الله على الأرض... قيام هذا الملكوت واتساعه من أجل مجد الله وخلص البشر...

2- فتاريخ الكنيسة إذن هو الوصف الأمين لأصل وامتداد هذا الملكوت... ويهدف إلى أن. يعيد إلى الأذهان، ويجسم بالكلمات تطور هذا الملكوت الخارجى والداخلى حتى وقتنا الحاضر... إنه والحال هذه، تفسير مستمر لمثل رب المجد عن حبة الخردل، والخميرة التى خمرت العجين كله (مت 13: 31-33)... فمثل حبة الخردل يظهر مدى وكيفية إنتشار المسيحية فى العالم، بينما مثل الخميرة يظهر فعالية المسيحية القوية فى تقديس الحياة الداخلية...

3- وثمة ناحية أخرى يظهرها تاريخ الكنيسة ويؤكد لها لنا " إنه يظهر الله دائماً أقوى من كل قوى الشر، وأن مملكة النور تكشف وتخلج دائماً مملكة الظلمة، وأن الأسد الخارج من سبط يهوذا قد سحق، ويسحق دائماً رأس الحية... انه يؤكد كل يوم الدرس الذى قدمه لنا حادث صلب المسيح وقيامته، فى الباطل الذى قد ينتصر على الحق وقتياً، والحق الذى لا يد وأن يظفر نهائياً...

4- هكذا يصبح تاريخ الكنيسة أفضل تفسير للمسيحية ذاتها، لأنه يبين التطور الأدبى والدينى للجنس البشرى، والخطة الإلهية للفداء. كما أنه يستمد قيمته وأهميته باعتباره المدخل لحالة المسيحية الآن، والمرشد للعمل الناجح فى كرمها... فالحاضر هو ثمر الماضى وأساس المستقبل.

5- وتاريخ الكنيسة ليس مجرد فصول لمعرفة أخبار السلف... وحقائقه ليست مجرد عظام بالية. بل أنه يشتمل على حقائق حية، ومبادئ وقوانين لإرشادنا... ومَنْ يدرس تاريخ الكنيسة، فإنما يدرس المسيحية ذاتها فى كل أوجهها، والطبيعة البشرية تحت سلطانها.

6- وتاريخ الكنيسة له قيمة كبرى لكل مسيحي كمستودع للتحذير والتشجيع والتعزية والنصح... إنه فلسفة الحقائق، والمسيحية مقدمة لنا في أمثلة حياة... وإذا كان بولس الرسول في رسالته إلى العبرانيين يصف في فصاحة بالغة سحابة الشهود المحيطة بنا- والتي تتألف من شخصيات بعض أبرار العهد القديم، بقصد تشجيع المؤمنين (عب 11، 12: 1)، فنحن بدراستنا لتاريخ الكنيسة المسيحية إنما نضع أماننا- ولنفس الغرض- سحابة أكبر تضم الرسل والإنجيليين والشهداء والمعترفين والآباء القديسين والنسك المتعبدين، جمهور المؤمنين الصديقين في كل عصر وأمة ولغة منذ نشأة الكنيسة إلى وقتنا الحاضر... هؤلاء هم أبطال الإيمان والحب المسيحي... رسالة المسيح الحية، نور العالم وملح الأرض. ولا يمكن بطبيعة الحال أن نتعزى بإيمانهم، ونشجع بمثالهم، ما لم ندرس أفكارهم وحياتهم وأعمالهم وجهاداتهم. بذلك فقط نحذو حذوهم، وبنعمة الله ننضم إلى صفوفهم...

### أهمية دراسة تاريخ العصر الرسولي:

إذا كنا قد رأينا مدى أهمية دراسة تاريخ الكنيسة بصفة عامة، فلاشك أن للعصر الرسولي أهمية خاصة نجلها فيما يلي<sup>(1)</sup>:

1- للعصر الرسولي أهمية خاصة من كل النواحي المتعلقة بالمسيحية كديانة، ومن ثم فقد إهتم الباحثون بدراسة تاريخه. ومصدر هذه الأهمية، هو أن حياة السيد المسيح هي النبع الأصلي للديانة المسيحية، وتبعاً لذلك فقد إعتبر العصر الرسولي المصدر الأصيل للكنيسة المسيحية، كمجتمع منظم منفصل و متميز عن مجتمع اليهود... فضلاً عن ذلك فإنه عصر الروح القدس، عصر الإلهام والتشريع لكل العصور التي تلتها، والنافذة التي نطل منها على المسيحية الأصيلية في مبادئها، القوية في إيمانها، الإلهية في كيانها...  
2- يقدم لنا صورة أمينة لحيوية المسيحية وفعاليتها ونقاوتها.. ففيه نقرأ كيف إستطاعت المسيحية- بقوة فائقة للطبيعة، وبعلامات وعجائب وإثباتات غير مألوفة لروح العصر- أن تجدد الخليقة الساقطة سواء اليهود أو الوثنيين، بطريقة تدريجية وتفاعل هادىء.

3- يقدم لنا إثباتات قوياً واضحاً على أن المسيحية كديانة، إنما هي عمل إلهي فائق للطبيعة... فعلى الرغم من أن الكنيسة في سعيها الحثيث لنشر رسالتها في تاريخها المبكر، كانت كالطفل الذى يحبو على الشوك.. وعلى الرغم من أنها - في تلك الفترة العصبية من تاريخها- كانت بلا سند من قوة زمنية، فقد إستطاعت- بقوة مؤسسها الذى وعدھا أن أبواب الجحيم لن تقوى عليها... أن تثبت أمام جماعات اليهود بمكرهم وتعصبهم، وجحافل الوثنيين بملوكهم وحكامهم... إنه أمر يدعو للدهشة، أنه في خلال قرون قليلة من مولدها، إستطاعت المسيحية أن تنال ولاء غالبية شعوب الإمبراطورية

<sup>(1)</sup>scgaff vol 1 pp.198,199

الرومانية فى كل العالم القديم. بل أن الدولة نفسها سعت للتحالف معها... لقد بدت المسيحية متواضعة فى مظهرها الخارجى، لكنها كانت يقظة لأصلها الإلهى. لم يكن لها ذهب ولا فضة، لكنها كانت غنية فى مواهبها وقواتها الفائقة للطبيعة... قوية فى الإيمان، حارة فى الحب، فرحة فى الرجاء. " لقد فرضت نفسها على مسرح التاريخ كالحق الوحيد، والدين الكامل لكل شعوب الأرض.

4- وثمة أمر بالغ الأهمية بالنسبة لدراسة تاريخ العصر الرسولى. فلقد كان السيد المسيح يحدث تلاميذه أحاديث كثيرة، وصنع قدامهم آيات عظيمة لم تدون فى الإنجيل (يو20: 30). كما أنه بعد قيامته المجيدة كان يظهر لهم مدة أربعين يوماً يحدثهم عن الأمور المختصة بملكوت الله (أع 1: 3)، ولم يدون كاتبو الإنجيل هذه الأحاديث. أضف إلى هذا أن التعليم المسيحى فى عصر الرسل قدم للناس شفويًا - وهو ما يعرف باسم التقليد... ودراسة ذلك العصر تطلعنا على هذه التقاليد، وكل ما سلمه الرسل شفاهًا...

5- يضاف إلى هذا كله، أن العصر الرسولى يقدم لنا نماذج لشخصيات مسيحية عملاقة، وخاصة فى ميدان الخدمة والتبشير... شخصيات إستنارت عقولهم بالروح القدس. وتأيّدوا بقوة فى الإنسان الباطن. ولا شك أن فى هذا خير حافز على العمل والجهاد...

### المصادر التاريخية الأصلية للعصر الرسولى:

ويمكن إجمال هذه المصادر القديمة الأصلية فيما يلى (2):

1- أسفار العهد الجديد المقدسة جميعها بصفة عامة، وسفر أعمال الرسل بصفة خاصة... فبينما يمدنا سفر الأعمال بمعلومات عن تاريخ الكنيسة الخارجى، فإن رسائل الرسل تسجل تاريخها من الداخل. لكن إعتقادنا الكبير من غير شك فى دراسة تاريخ الكنيسة فى العصر الرسولى- وبخاصة فى الفترة الأولى- يعتمد على سفر أعمال الرسل، بل انه يعتبر المصدر الرئيسى للنصف الأول من العصر الرسولى.

2- كتابات التعليم والقوانين المنسوبة للرسل مثل كتاب " تعليم الرسل الاثنى عشر المعروفة باسم Didache وكتاب الدسقولية Didascalia.

3- كتابات الآباء الرسوليين، ويقصد بهم تلاميذ الرسل، من أمثالهم الآباء القديسين كليمنضس الرومانى وهرماس وبابياس وأغناطيوس وبوليكاربوس.

4- كتابات الأبوكريفا (غير القانونية)- ويدخل تحت هذا الاسم كتابات كثيرة غير قانونية كتبت فى وقت متأخر قليلاً أو كثيراً عن العصر الرسولى، ونسبت للرسل، وتحوى رسائل ورؤى وأعمال... وهذا- وإن كانت الكنيسة ترفضها كأسفار قانونية- لكن يمكن الإستعانة بها من الناحية التاريخية، فى إمدادنا بصورة عن ذلك العصر.

5- المصادر اليهودية، وأهمها كتابات فيلو philo الفيلسوف اليهودى الاسكندرى،

(2)schaff, vol. I, pp. 187-189; Carrington, vol. I, pp. 13-15.

ويوسفوى المؤرخ اليهودى الذى عاصر خراب أورشليم، فى كتابيه الشهيرين " آثار اليهود " و"حروب اليهود "... كما يمدنا كتاب " المشنا " Mishns الذى يجمع تعاليم معلمى اليهود فى القرن الأول، بصور ومعلومات عن عدد الرسل وطريقة تعليمهم ونظام الكنيسة الأولى والعبادة فيها.

6- الكتاب والمؤرخون اللاتين الوثنيون من أمثال تاكيتوس Tacitus وسوتونيوس suetonius، و بلىنى pliny.

7- كتابات آباء القرن الثانى (الجيل التالى لتلاميذ الرسل)، من أمثال يوستينوس الشهيد وإيريناوس وهيجيسبونى Hegesippus الذى فقد كتابه، لكن هناك إقتباسات منه فيما كتبه إيريناوس و يوسابيوس وإبيفانيوس.

8- المؤرخون الكنسيون، وأشهرهم يوسابيوس القيصرى الذى كتب تاريخاً للكنيسة فى عشر كتب، من تجسد الكلمة حتى سنة 324، العمل الذى لأجله نال لقب [ أبو التاريخ الكنسى].

9- المخلفات الأثرية أينما وجدت سواء كانت فى أماكنها الأصلية أو المتاحف المختلفة. واليوم بفضل العديد من الإكتشافات أمكن إضافة معلومات أخرى عن تلك الفترة المبكرة من تاريخ المسيحية. ومن هذه مخطوطات البحر الميت، وكذا إكتشافات نجع حمادى خصوصاً ما يسمى إنجيل توما وهو من كتب الأبوكريفا.

## ما المقصود بالعصر الرسولى؟

إصطلاح على إطلاق تسمية " العصر الرسولى " على الفترة الزمنية التى عاش فيها رسل ربنا يسوع المسيح، وكرزوا فيها بالإيمان المسيحى. ويشغل هذا العصر نحو سبعين عاماً، من وقت تأسيس الكنيسة المسيحية فى يوم الخمسين سنة 30 م، إلى نياحة القديس يوحنا الإنجيلى الرسول حوالى سنة 100 م، وهو أكثر من عمر من الرسل..

## العالم الذى ولدت فيه الكنيسة

قبل أن نخوض فى تاريخ العصر الرسولى لنتعرف على معالمه، نحتاج إلى وقفة لنلقى نظرة على العالم الذى ولدت فيه الكنيسة المسيحية ... فهذا العالم هو الذى تعاملت معه الكنيسة وتفاعلت وتصارعت ... من الناحية الدينية كان العالم ينقسم إلى قسمين متميزين: يهود ووثنيين<sup>(3)</sup>. أما من الناحية السياسية فنجد الإمبراطورية الرومانية كوحدة كبيرة متماسكة منظمة، شغلت ممتلكاتها أجزاء كبيرة من العالم القديم. لذا سنتكلم عن اليهود بأحوالهم وطوائفهم وأنظمتهم، ثم عن العالم الوثنى بفساده

(3) يعبر القديس بولس عن ذلك بالقول: يهود وأمم، ختان وغرلة، يهود ووثنيين

وردائه، وأخيراً نلقى نظرة كل الإمبراطورية الرومانية...

## اليهود

1- حالتهم السياسية: منذ أن دخل القائد الروماني بومبي أورشليم ظافراً سنة 63 ق. م، صار اليهود خاضعين سياسياً للرومان الوثنيين. أقام بومبي حاكماً يهودياً على البلاد تحت إشراف ممثل روما... وكان هذا عاملاً قوياً في إشتعال رجاء اليهود في المسيا المخلص، لكن بمفهوم مادي، فتطلعوا إلى منقذ سياسي يعيد مملكة داود، على مستوي مجد عالمي.

2- حالتهم الاقتصادية والاجتماعية: كانت سيئة للغاية... والأمثلة التي ساقها الرب يسوع- وإن كان قد قصد بها معاني روحية- لكنها تصور لنا هذه الحالة خير تمثيل... فمثل صديق نصف الليل (لو 11: 5-7)، والدرهم المفقود (لو 15: 8، 9). ووصفه للفقراء في مثل العشاء والمدعوين (لو 14: 21، 23) والعمال البطالين في السوق طوال اليوم في مثل الفعلة وصاحب الكرم (مت 20: 1-7) إنما تعكس لنا صورة حياة نابضة عن حالة الطبقة الكادحة في المجتمع اليهودي إبان قيام الكنيسة المسيحية... يقابل هذه الطبقة المعدمة، فئة من كبار الملاك الأثرياء الذين لم يكن لهم هم سوى زيادة ثروتهم، غير مبالين بالفقراء. وقد صور الرب هذا التناقض الصارخ بين الفريقين في مثل الغني الذي أخصبت كورته ولم يفكر إلا في ذاته وفي كنز ثروته (لو 12: 6-21)

أضف إلى هذا، الضرائب التي أثقلت كاهل الشعب... فمن ضرائب كانت تجبى لحساب روما يجمعها العشارون بقسوة وإذلال وظلم، إلى ضرائب دينية متنوعة كان عليهم تقديمها إلى الهيكل وإلا إتهموا بالخروج على الناموس... من أجل ذلك كله ساءت أحوال اليهود الاقتصادية وانتشرت البطالة، واضطر البعض إلى إحتراف السرقة والإجرام. وكانوا يتخذون من طرق فلسطين الجبلية المقفرة مسرحاً لجرائمهم-. ولعل المثل الذي قدمه المسيح عن الإنسان الذي كان مسافراً من اورشليم إلى أريحا ووقع بين اللصوص فعروه وجرحوه وتركوه بين حي وميت (لو 10: 30)، إنما يصور هذه الحالة أيضاً.

3- حالتهم الدينية والأدبية: كان اليهود من الناحية الأدبية يفضلون الأمميين (4) الوثنيين بكثير... لكنهم تحت مظهر الطاعة الشديدة لناموسهم، كانوا يخفون فساداً مريعاً. وقد دعوا في العهد الجديد " أولاد الأفاعى، (مت 3: 7)، " أولاد إبليس " (يو 8: 44)، " قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان " (أع 7: 51). ويوسيفوس مؤرخهم، الذي كان يهيمه أن يظهر مواطنيه لليونان والرومان في صورة مشرقة، يصفهم في القرن الأول، بأنهم شعب فاسد شرير، إستحقوا بعدل العقاب المخيف في خراب أورشليم. أما من الناحية الدينية، فقد تمسكوا بحرفية الناموس وبتقاليدهم دون أن يفهموت

(4) " الأمم " لقب أطلقه اليهود على الشعوب الوثنية، على نحو ما أطلق الرومان لقب " برابرة " على غير الرومان، وكما أطلق العرب لقب " أعجمي " على غير العربي.

روح الشريعة أو يعرفوا قوتها... كانوا يتحفظون تحفظ الخوف من الوثنيين، ولذا فقد نالوا إحتقارهم كأعداء للجنس البشرى... ومع ذلك فقد إستطاعوا بكفاحهم وحصافتهم، أن يجمعوا ثروات طائلة، وأن تكون لهم مكانة فى بعض المدن الكبيرة فى الإمبراطورية الرومانية<sup>(5)</sup>.

وعلى الرغم من تمسكهم بالناموس الذى يمنعهم من الإتصال بالأمم الأخرى فإنهم تحت ضغط الظروف السياسية التى مروا بها إنتشروا فى العالم أجمع حتى أنه فى خلال العصر الرسولى، كان لا يخلو إقليم فى الإمبراطورية الرومانية كلها من وجود جالية يهودية<sup>(6)</sup>.

وتبعاً لهذا الإختلاط بالأمم، أصبحت لغة فلسطين - التى توالى عليها حكم الأجانب خاصة بعد فتح الاسكندر الأكبر<sup>(7)</sup> - يجهلها كثير من اليهود. وصارت اليونانية مألوفة ومتداولة كاللغة الآرامية فى مدن اليهودي.

ومنذ القرن الأول قبل الميلاد، خرج اليهود عن مألوفهم، وتحولت اليهودية من ديانة متحوصلة إلى ديانة كارزة، لها إرساليات تعمل، الأمر الذى أشار إليه السيد المسيح بقوله للكتبة والفريسيين: " تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً وأحداً. " (مت 23: 15). - وعلى الرغم من هذه الجهود، فقد كان عدد المتهودين ضئيلاً. وفضل الوثنيون- ممن أعجبوا بأدبيات اليهود- أن يظلوا على الهامش " كخائفى الله " <sup>(8)</sup>، لأنهم لم يكونوا مستعدين للخضوع لقيود الناموس الطقسى الشديد<sup>(9)</sup>... وكان هؤلاء يحضرون المجامع اليهودية كموعوظين.. ولعل مما ساعد على حركة الإنضمام هذه، الترجمة السبعينية للعهد القديم من العبرية إلى اليونانية التى تمت فى عهد وبرغبة بطليموس الثانى ملك مصر ( 285 - 246 ق. م ) لمنفعة شعبه من اليهود الذين كانوا يجهلون العبرية. والآن نعرض للمجامع اليهودية التى يتردد ذكرها كثيراً فى أسفار العهد الجديد، وكان لها أثر كبير فى تلك الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة ، ثم نعرض لبعض الطوائف والمفاهيم اليهودية:

**1- المجمع اليهودي<sup>(10)</sup>** كان هو المركز المحلى لحياة اليهود الدينية والاجتماعية... كان مدرسة ومعبدًا وحارساً لكل تراثهم. وقد إزدادت أهميته بعد خراب

<sup>(5)</sup>schaff, vol. 1, pp, 63, 64

<sup>(6)</sup> عبر عن ذلك القديس يعقوب فى مجمع أورشليم حينما قال " لأن موسى منذ أجيال قديمة، له فى كل مدينة من يكرز به، إذ يقرأ فى المجمع كل سبت " (أع 15: 21)

<sup>(7)</sup> خضعت بلاد اليهودية منذ سنة 330 ق. م إلى سنة 167 ق. م للحكم الاغريقى (الاسكندر الأكبر والبطالمة والسلوقيين). ثم قامت ثورات المكابيين (167- 141 ق. م) لأجل الاستقلال القهى. ثم أسس المكابيون دولة دينية ( 141- 63 ق. م). ومنذ سنة 63 ق. م خضعت للحكم الرومانى بعد أن دخلها القائد بومبى ظافراً

<sup>(8)</sup> انظر: أع 13: 43، 16: 50، 17: 4، 18: 7.

<sup>(9)</sup> The book of acts og god, pp228, 299

<sup>(10)</sup> 456-460 schaff , vol1, pp.

هيكل أورشليم سنة 70 م. بدأت المجمع اليهودية تاريخياً من وقت السبي وعزرا، وإن كان اليهود يحاولون إرجاعها إلى مدارس الأنبياء، بل إلى زمان البطاركة الأولين. وفي العصر الرسولي كانا المجمع قد إكتمل نظامه وإستخدمه اليهود كقاعدة للتعليم الشعبى... وكلمة مجمع **synagogue** ككلمة كنيسة، تعنى الشعب والبناء، حيث يجتمع الشعب للعبادة العامة. كان لكل مدينة مهما صغرت مجمع، أو على الأقل مكان للصلاة فى منزل خاص أو فى الهواء الطلق. وكان المكان يختار عادة قرب نهر أو شاطئ بحر لتسهيل الغسلات الطقسية. وقد صور سفر الأعمال إنتشار المجمع اليهودية بقوله: " لأن موسى منذ أجيال قديمة له فى كل مدينة من يكرز به، إذ يُقرأ فى المجمع كل سبت " (أع 15: 21)...

ووفقاً للتقليد اليهودى، كان يكفى وجود عشرة رجال فى مكان ما ليؤسسوا إجتماعاً دينياً... وإقامة مجمع، كانت تعد عملاً صالحاً يذكر بالخير ( لو 7: 5) ... هكذا إنتشرت المجمع اليهودية فى أماكن كثيرة. وكان هناك عديد منها فى المدن الكبيرة كالاسكندرية وروما. أما أورشليم وحدها فكان بها نحو أربعمائة مجمعاً للطوائف المختلفة واليونانيين من الأقطار الأخرى (أع 6: 9).

وصف البناء: كان عبارة عن بهو فسيح قائم الزوايا، ليس له طراز معمارى خاص. أما ترتيباته من الداخل فتشبه إلى حد ما خيمة الإجتماع والهيكل. كانت فيه مقاعد، خصصت المرتفعة منها للشيوخ والأعضاء الموسرين (مت 23: 6 ؛ يع 2: 3، 2) وكان فيه منبر أو ما يشبه المنجلىة للقراءة، وتابوت خشبى أو مقصورة لحفظ الكتب المقدسة، وكانت تسمى **copheret** أو كرسى الرحمة أو هارون.. وهذه تقابل قدس الأقداس فى خيمة الإجتماع والهيكل. وكان هناك ضوء مقدس يحتفظ به مشتعلاً دائماً، رمزاً للناموس المقدس، ويقابل الضوء الذى كان موجوداً فى الهيكل... ويوجد صندوقان للعطاء موضوعان بجوار الباب كما كان الحال فى الهيكل، احدهما لفقراء أورشليم (11)، والآخر للإحسانات المحلية... كانت لا توجد زخارف للترزين- ما عدا النباتات- لأن الوصية الثانية من الوصايا العشر تنهى بشدة عن الصورة كشئ وثنى. وكان البناء يقام على أعلى بقعة فى المنطقة. ولم يكن مسموحاً لأى منزل أن يتجاوز إرتفاع المجمع. وفى حالة عدم وجود أرض مرتفعة لإقامة المجمع عليها، كان يثبت عمود خشبى طويل فى سقف البناء، لكيما يجعله ظاهراً.

التنظيم: كان لكل مجمع رئيس (12)، وعدد من الشيوخ، **Zekenim** مساوين له فى الرتبة، وقارىء ومترجم. وقد بدىء فى إستخدام المترجم عقب العودة من السبي البابلى ليترجم الدروس من العبرية إلى الكلدانية أو الآرامية، أو اليونانية أو اللغات

(11) لقد نهج القديس بولس نفس هذا النهج حينما كان يجمع من كنائس الأمم صدقات لفقراء اورشليم المسيحيين.

(12) مر 5: 36، 38؛ لو 8: 49؛ 13: 14؛ أع 18: 8؛ 17.

الوطنية الأخرى. كما كان لكل مجمع شخص أو أكثر يرسلون في مهام بسيطة تحتاج إلى إنتقال، ويدعون " مبعوثين " sheliach وقندلفت chazzan أو خادم للخدمات اليدوية البسيطة (لو 4:20). كما كان يوجد خدام لجمع الصدقات وكانوا يسمون gabae zekdaka ومهمتهم جمع الصدقات... وكان المجمع عبارة عن هيئة قضاء دينية، لها السلطة أن تطرد وأن توقع عقوبات على المذنبين، قد تصل إلى الجلد<sup>(13)</sup>... كان بكل مجمع عشرة رجال أثرياء يحضرون كل خدماته ويمثلون الشعب. وكان كل مجمع مستقلاً داخلياً، لكنه فى نفس الوقت، كان على صلة منتظمة بالمجامع الأخرى.

العبادة: كانت بسيطة لكنها طويلة، وتتميز بها ثلاثة عناصر: عنصر تعبدى، وعنصر تعليمى، وعنصر طقسى... كما إشتملت على صلوات وأناشيد وقراءات وشرح للأسفار المقدسة، وطقس الختان، وغسلات طقسية. أما الذبائح الدموية فكانت قاصرة على الهيكل بأورشليم، وبطلت بخرابه وهدمه... كانت الصلوات والأناشيد تؤخذ أساساً من المزامير. وكانت الصلاة الإفتتاحية تتألف من بركتين افتتاحيتين، إحداهما قراءة الوصايا العشر، والثانية قراءة بعض أجزاء من أسفار موسى الخمسة<sup>(14)</sup>... يتلو ذلك الثمانى عشرة صلاة والبركات، وكان يتلوها قارىء، ويجاوبه الشعب " أمين " -. وهذه إحدى الصلوات:

" إمنحنا سلاماً وسعادة وبركة ونعمة ورحمة، وترأف علينا وعلى شعبك إسرائيل. باركنا كلنا يا أبانا متحدين بنوو رضاك. لأنه فى نور رضاك أيها الرب إلهنا أنت أعطيتنا ناموس الحياة والرأفة والعدل والبركة والحنو والحياة والسلام. ليتك تبارك شعبك إسرائيل بالسلام ".

كان الجزء التعليمى والوعظى من العبادة مؤسساً على الأسفار اليهودية... كان يقرأ درس من الناموس وآخر من الأنبياء، و يتبعهما تفسير وعظة باللغة الآرامية الوطنية أو اليونانية. وتختتم الخدمة بالبركة، ويجاوب الشعب " أمين " . وحيث أنه لم يكن هناك ممارسات كهنوتية خارج هيكل أورشليم، لذا كان يمكن لأى يهودى مسن أن يقف ويقرأ الدروس ويتقدم الصلاة ويخاطب المجتمعين... وقد انتهز السيد المسيح ورسله فرصة هذا الامتياز الديمقراطى، ليبشروا بالإنجيل الذى فيه تم ما جاء بالناموس والأنبياء<sup>(15)</sup>.

كانت أيام الخدمة العامة هى السبت والاثنين والخميس. وساعات الصلاة هى الثالثة والسادسة والتاسعة بالتوقيت العبرى<sup>(16)</sup> - وكان يفصل بين الرجال والنساء حائط منخفض أو ستار. كان الرجال يجلسون فى ناحية والنساء فى ناحية أخرى كما هو الحال

(13) مت 10: 17؛ لو 12: 11؛ يو 9: 34؛ أع 22: 19.

(14) هى: تث 6: 4-9؛ 11: 13-21؛ عد 15: 37-41

(15) ( لو 4: 17-20؛ يو 18: 20؛ أع 13: 5، 15، 44؛ 14: 1؛ 17: 2-4.

(16) بقابلها التاسعة صباحاً والثانية عشر ظهراً والثالثة بعد الظهر بتوقيتنا الحالى.

فى كنائسنا اليوم. وكان الناس يتجهون فى الصلاة نحو أورشللم.

**2- الطوائف اليهودية** صاحب نشأة الكنيسة المسيحية وجود عدة طوائف يهودية. ولقد أظهرت دراسة تاريخ الكنيسة الأولى فى أورشللم مدى تعقيد العالم اليهودى الذى كانت تنمو فيه الكنيسة المسيحية. وسنقصر حديثنا على الطوائف اليهودية الثلاث البارزة: الفريسيين والصدوقيين والأسينيين.

**الفريسيون: perushim**، أى المفرزون الذين أفرزوا أنفسهم عن الأمم وكل عوائدهم- هم إمتداد لجماعة الحسيديين (الأتقياء) الذين ظهروا فى زمان المكابيين<sup>(17)</sup>. كان لهم شأن كبير فى زمان السيد المسيح ورسله. اتخذوا لأنفسهم طريقاً ضيقة فى العبادة، حتى أن القديس بولس الذى عاش قبل تنصره فريسياً يقول عن نفسه: " إنى حسب مذهب عبادتنا الأضيح عشت فريسياً" (أع 26: 5). يمكن القول إن رسالة الفريسيين كانت رسالة دينية خالصة، لكن إهتمامهم بالدين لم يمنعهم من خوض غمار السياسة فى بعض الأحيان.. وصفهم يوسيفوس بأنهم أقوىاء جداً، فخورون بحفظهم لناموس آبائهم بكل دقة، وبأن الله يحبهم ... كانوا هم- وليس الكتبة- مصدر السلطة فى المجمع اليهودى، حتى أن السيد المسيح قال: " على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون" (مت 23: 2) لكنهم إشتهروا بريائهم، حتى صارت الفريسية علماً على الرياء (انظر متى 23).

غالباً ما يقترن اسم الفريسيين بالكتبة فى الأنجيل، فمن هم هؤلاء الكتبة؟ لم يكن هؤلاء الكتبة طائفة دينية، لكنهم كانوا أرباب حرفة علمية لها شأنها فى المجتمع اليهودى... ويبدو أن ظهورهم كجماعة لها كيانها يرجع إلى عصر مبكر كما نستنتج من سفر أخبار الأيام (1 أى 2: 55). عرفوا بعد زمان عزرا باسم السفريم sopherim من كلمة sopher ومعناها مؤلف أو شخص يعلم كتاب الناموس<sup>(18)</sup>... كان الكتبة إذن مع الفريسيين هم معلمو الناموس... وكانت لهم مكانة عظيمة بين الشعب. إستشهد أحد مقدميهم ويدعى اليعازر لأنه رفض كسر الشريعة (مكابيين الثانى 6: 18، 19). كانوا دائماً على ود مع الفريسيين، بل كانوا أكثر الشيع اليهودية إتحاداً<sup>(19)</sup>.

**الصدوقيون:** ترجع تسميتهم- حسب أرجح الآراء- إلى " صادق" رئيس الكهنة،

(17) هؤلاء الحسيديون كانوا ضد النفوذ الهيلينى (الأغريقى) الذى أخذ يتسرب وقتذاك إلى اليهودية بواسطة السلطات الاغريقية ومن مال إليهم. ومن ثم فقد إتحد هؤلاء الحسيديون فى بادىء أمرهم مع المكابيين فى ثورتهم، وساندوهم لأنهم رأوا فيها محاولة جريئة للحفاظ على الناموس المقدس (مكابيين الأول 2: 42-44). وكان المكابيون يؤلفون جماعة سياسية، تتطلع إلى قيام دولة دينية يهودية. لكن ما لبث الحسيديون أن انفصلوا عن المكابيين لكسرهم السبت بالحرب فيه (مكابيين الأول 2: 41)، ولاخذهم رئاسة الكهنوت التى كانت وفقاً على نسل هارون ... لكن ما لبث الحسيديون أن اختفوا من مسرح الأحداث، لكن مبادئهم وغيوتهم ظلت غير منسية ... وهكذا مهدوا لظهور جماعة الفريسيين انظر: sell,samaritan and other jewish sacts ,pp.30-32

(18) كلمة sopher بالعبرية معناها كتاب، وهى نفس الكلمة المستخدمة فى العربية " سفر".

(19) L,Eglise primitive,p.45

الذى أقامه سليمان ملك إسرائيل (1 مل 2: 35). ويشير النبي حزقيال إلى " أبناء صادق "، ويصفهم بأنهم أهل لخدمتهم، ويوثق بهم فى واجباتهم ... لا نعرف على وجه التحديد زمان قيام هذه الطائفة، لكن يرجح أنه كان فى زمان حكم أنطيوخوس ابيفانس Antiochus Epiphanes ملك السلوقيين بسوربا، الذى أخضع لحكمه بلاد اليهودية، حيث بدأ الصراع بين اليهودية والهيلينية... كان التنف بالثقافة الهلينية (الأغريقية) الجديدة، هو الطريق الممهد للثروة والجاه السياسى والترقى فى المناصب... وقد اعتنق كثير من القادة الدينيين وأتباعهم وجهات النظر والعوائد الاغريقية، وتشبعوا بالروح العالية<sup>(20)</sup>. ولعل هذا ما أشار إليه سفر المكابيين بقوله: " فى تلك الأيام خرج من إسرائيل أبناء منافقون. فأغروا كثيرين قائلين، هلم نعهد عهداً مع الأمم حولنا، فانا منذ إنفصلنا عنهم لحقتنا شرور كثيرة " (مكابيين الأول 1: 12).

كان الصدوقيون يمثلون أرسقراطية الكهنوت، الذين أمسكوا بمقاليد السلطة فى الشئون اليهودية ابان سيطرة الفرس ثم خلفاء الاسكندر (البطالمة والسلوقيين). وقد تمتعوا بنفوذ مطلق فى الهيكل، وبالتالى فى اورشليم وكل اليهودية... كانت تصل إلى أيديهم كل الضرائب التى تجبى باسم الهيكل، سواء من اليهود المقيمين أو من يهود الشتات، فضلاً عن نصيبهم من الذبائح والعشور وضريبة الدرهمين (مت 24: 17). وهكذا أثرى الصدوقيون ثراء عريضاً<sup>(21)</sup>، وترتب على ذلك إهمالهم للشئون الدينية وإنصرافهم إلى العالميات - وكانت نتيجة ذلك أن انتقلت قيادة الشعب الحقيقية إلى الفريسيين والكتبة.

لم يكن ما ذكرناه هو السبب الوحيد لعداء الصدوقيين والفريسيين الشديد، بل هناك سبب آخر يتصل بإيمانهم ... لقد كانت للصدوقيين إنحرافات عقيدية تتلخص فى الآتى:  
+ كانوا يعارضون الناموس غير المكتوب، الذى اعتبره الفريسيون مقدساً وأنه إنحدر إليهم عن موسى. ورفضوا قبول أية تشريعات غير واردة فى ناموس موسى<sup>(22)</sup>.  
+ كانوا لا يؤمنون بعقيدة القيامة من الأموات (أع 23: 1-9)  
+ أنكروا الملائكة والأرواح (أع 23: 8)  
وكان من نتيجة ذلك أن فقد هؤلاء الصدوقيون سيطرتهم على الشعب. وبعد خراب اورشليم والهيكل، فقدوا كلية نفوذهم السياسى.

الأسينيون: لم يرد ذكر الاسينيين Esenes فى أسفار العهد الجديد. لكن المكتشفات الأخيرة أظهرت لنا تأثيرهم القوى على الحياة الدينية فى المجتمع اليهودى فى ذلك العصر. بل قيل إن بعض تلاميذ السيد المسيح كانوا من أتباعهم، وأن يوحنا المعمدان

<sup>(20)</sup> sell, samaritan and other jewish sects, pp.58,59

<sup>(21)</sup> كانت هناك مخازن ضخمة ملحقة بالهيكل اليهودى لخرن كميات كبيرة من البضائع فضلاً عن الذهب والفضة، لذا كانت تعين لها حراسة قوية، خوفاً من الناهبين. وشخص واحد يدعى مرقس كراسوس Crassus نهب منه ما يوازي اثنى عشر مليوناً من الدولارات ذهباً وفضة. أنظر: Josephus Antiquities, 14:7; karl kautsky, foundations of christianity, p.229

<sup>(22)</sup> أدخل اليهود بعد عودتهم من السبي بعض عادات وتقاليدهم غير مدونة فى الناموس المكتوب. ونسب الفريسيون هذا التقليد الشفوى إلى موسى. وقالوا إن موسى فى سيناء أخذ من الله ناموساً شفويماً إلى جانب الناموس المكتوب

كان أحد أفواد جماعتهم ...

ألف الأسينيون جماعة يهودية عاصرت ظهور السيد المسيح بالجسد، وكانت مزدهرة في القرن السابق للميلاد، وأستمرت حتى خراب أورشليم سنة 70م - وإن كان المؤرخون القدامى قد ذكروهم باقتضاب كبير، لكن بفضل ما عثر عليه في مغارات قمران Qumaran عند الشاطئ الغربى للبحر الميت جنوبى أريحا، أصبح لدينا وفرة من المعلومات عنهم.

لقد أطلق الكتاب القدامى على هذه المجموعة إسم "الأسينيين"، وهى تسمية تعنى على الأرجح " الأتقياء". أما هم فقد أسموا أنفسهم- حسبما ورد فى مخلفاتهم المكتشفة- " الجماعة " أو " جماعة الله " أو " جماعة العهد الدائم ".  
أما عن عقائدهم وطقوسهم وأسلوب معيشتهم (23)، فهى عقائد يهودية خالصة أساسها ناموس موسى والأنبياء، لكن على غير ما أوله الفريسيون والصدوقيون. وكانوا ثائرين على الشكليات فى الدين...

كانت جماعة الأسينيين تمثل طائفة سرية مغلقة ... كانوا يقللون من شأن المرأة. وكانوا يمثلون جماعة إشتراكية على أشد ما تكون الاشتراكية، إذ لم يكن لأى من أعضاء الجماعة ملك خاص، وكانت الأعمال توزع عليهم توزيعاً عادلاً.

**3- مفاهيم يهودية وإتماماً للفائدة نتناول بالشرح بعض المفاهيم اليهودية التى ترتبط بموضوع دراستنا عن العصر الرسولى. كالسنهدين وهو مجلس اليهود الأعلى، ويهود الشتات، والدخلاء المتعبدين واليونانيين.**  
**السنهدين (24):** وهو مجلس اليهود الأعلى الذى حوكم أمامه السيد المسيح ورسله.. وترجع التسمية فى أصلها اللغوى إلى الكلمة sunhedrion واستخدمت فى الآرامية بمعنى محفل. واستناداً إلى ما جاء فى المشنا اليهودى، فإن البعض يرجع قيام السنهدين إلى زمان موسى، حين عين سبعين من شيوخ إسرائيل لمعاونته (عد 11: 16، 17). والبعض يرجعه إلى زمان يهوشافاط (2 أى 19: 8) ... لكن يبدو أنه لم يكن له وجود إلا فى مرحلة ما بعد السبى. وقد تشكل على أرجح الآراء حوالى سنة 190 ق. م.  
كان مجلساً أرسقراطياً، يضم سبعين أو اثنين وسبعين عضواً. وكان يتألف من ثلاث فئات:

الكهنة (أو رؤساء الأربعة والعشرين فرقة الكهنوتية)، والشيوخ (أو رؤساء الأسباط)، والكتبة. وكان الشيوخ يمثلون الأرسقراطية العلمانية، و ينتمون مثل الكهنة إلى شيعة

(23) vermes ,the Dead sea scrolls

(24) ويكتب بالنون Sanhedrin أو بالميم Sanhedrim -انظر: Jewish secs,pp.83-85. Sell,samaritan and ohter

الصدوقيين<sup>(25)</sup>.... وكان رئيس هذا المجلس يختار على أساس نشاطه وحكمته، وغالباً ما كان هو رئيس الكهنة. وكان يسمى بالعبرية **ab-beth-din** أى أب بيت العدالة<sup>(26)</sup>. وفى إنعقاد هذا المجلس كان يجلس عن يمين الرئيس، نائب رئيس أول وعن يساره نائب رئيس ثان. أما بقى الأعضاء فكانوا يجلسون فى شكل نصف دائرى، حتى ما يرى كل عضو الآخرين... أما عن مكان إنعقاده، فبناء على ما جاء فى التلمود، فإنه كان ينعقد فى حرم الهيكل. لكن هناك رأياً آخر يقول إنه كان ينعقد فى الجانب الشرقى لجبل صهيون على مقربة من الهيكل.

أما عن سلطات هذا المجلس فقد اختلفت من زمان إلى آخر بحسب الظروف والأحوال السياسية، التى كان يمر بها اليهود. وفى العصر الرسولى كانت سلطاته محدودة إلى حد ما. كان ما يزال يحتفظ بسلطة الحكم بالاعدام دون قوة التنفيذ، التى كانت من إختصاص الوالى الرومانى.

يهود الشتات<sup>(27)</sup>. وهم اليهود الذين عاشوا خارج فلسطين، لسبب أو لآخر. إما لعدم عودة بعض أسلافهم من السبى إلى أرضهم، وإما نتيجة حمل بعض الفاتحين الغزاة المتأخرين لبعض آخر منهم إلى الخارج، وإما بسبب الهجرة إلى بعض المدن الجديدة، نتيجة إغراء مؤسسيها، لعلمهم أن اليهود مواطنون نافعون... ومهما يكن من أمر، فالنتيجة أن اليهود عاشوا فى أغلب المقاطعات الرومانية، فى كل حوض البحر المتوسط، وشرقاً فيما وراء سوريا. وكانوا بأعداد ضخمة فى بلاد ما بين النهرين وبابل وميديا. حتى أن يوسيفوس المؤرخ اليهودى يقول: [ لا يوجد شعب فى العالم لا يضم جزء منا]. ويقول الجغرافى سترابو **strabo**: [ ليس من السهل أن تجد بقعة فى العالم لم تستقبل هذا الجنس (اليهود) ]. وقد عاشوا فى المدن، مؤلفين جاليات متميزة، ومتمتعين ببعض الإمتيازات الخاصة التى أحرزوها بطرق مختلفة... وعلى الرغم من أن روما حرمت الديانات الشرقية، لكنها استتنت الديانة اليهودية<sup>(28)</sup>، وصرحت لاتباعها أن يضموا أتباعاً جدداً، وأن يمارسوا شرعهم المقدس، الذى كان بمثابة قانونهم الدينى والمدنى والجنائى... وهذا يفسر كيف أعطى رؤساء الكهنة سلطاناً لشاول الطرسوسى أن يقبض على أى يهودى متنصر فى دمشق، ويسوقه إلى أورشليم ليحاكم (أع 9: 2).

الدخلاء والمتعبدون<sup>(29)</sup>: كان ليهود الشتات رسالة بين الأمم الوثنية، إتماماً لوصية الرب " اعترفوا للرب يا بنى إسرائيل، وسبحوه أمام جميع الأمم. فإنه فرقكم بين

(25) كان رؤساء الكنيسة من الفريسيين. ومعنى ذلك أن الفريسيين كانوا ممثلين فى هذا المجلس الأعلى- انظر: **L'Eglise primitive**, p.45

(26) **carrington, vol.1, p.14**

(27) **Hill; pp.56-59**

(28) أصدر مجلس الشيوخ الرومانى فى (سنة 139- 138 ق. م) قراراً بحماية اليهود، أرسل لإنحاء الدولة- انظر: **Harnack, the**

**Mission ..p.2**

(29) **smith; Dictionary of the Bible, vol.3. pp.940,941; Hill, pp56-59 l'EGLISE Primitive, p.60**

الأمم الذين يجهلون، لكي تخبروا بمعجزاته، وتعرفهم أن لا إله قادر على كل شيء سواه " (طوبيا 13: 3، 4) ... ومن هنا فقد طافوا البحر والبر ليكسبوا دخيلاً واحداً (مت 23: 15). وهكذا، فقد كان كل يهودى- بحسب تعبير القديس بولس- يثق أنه قائد العميان ونور للذين فى الظلمة، ومهذب للأغبياء، ومعلم للأطفال (رو 2: 19، 20).

كان اليهودى بين جيرانه الوثنيين يتمتع بمهارة تثير عليه كراهيتهم.. كما أنه كان موضع سخريتهم بسبب الأمور التى تنفرد بها ديانتة<sup>(30)</sup>، كما كان مكروهاً للأصرار على الوقوف بمعزل عن بقية الجنس البشرى... لكن على الرغم من ذلك، فقد استطاعت اليهودية فى كل عصر أن تجذب إليها بعض المفكرين، الذين راقته عقيدتها التوحيدية وسمو شريعتها الأدبية بالمقارنة مع خرافات الوثنية وفساد أدبياتها... ومن أمثلة هؤلاء بعض قواد المائة الذين أحبوا اليهودية والشعب اليهودى وبنوا لهم مجامع (لو 7: 5).. لقد رحبت اليهودية بأمثال هؤلاء وقدمت لهم كتابها المقدس باللغة اليونانية (الترجمة السبعينية)، وسمحت لهم فى بعض الأحيان بحضور خدمات المجمع (انظر أع 13: 42). كان بعض هؤلاء المعجبين باليهودية يخطون الخطوة الأخيرة نحو إنضمامهم لليهودية، فيختنون، وكان يطلق عليهم اسم " الدخلاء" ويوضعون فى وضع يقارب اليهود بالمولد. والبعض الآخر كانوا يقبلون حقائق الديانة اليهودية الكبرى، لكنهم كانوا يرفضون حمل نير الناموس اليهودى بما فيه من قيود دائمة، وعزلة لا مفر منها... وقد سمح لهؤلاء بحضور المجمع وبالاختلاط بأصدقائهم من اليهود، مقابل امتناعهم عن بعض الأطعمة والممارسات التى يمتنع عنها اليهود<sup>(31)</sup>. كما كانوا يصومون ويقدمون صدقات كأكثر اليهود تدقيقاً (أع 10: 2، 3)... ودعى هؤلاء باسم " المتعبدىين " أو " خانفى الله ".

وكثيراً ما نقرأ فى سفر أعمال الرسل عن الدخلاء والمتعبدىين<sup>(32)</sup>... كانوا يحجون إلى أورشليم لزيارة الهيكل فى الأعياد الكبيرة (أع 2: 10).. وكان لهم مكان مخصص فى الهيكل عرف باسم " دار الأمم" ... بين هؤلاء المتعبدىين، وجدت المسيحية- وقد طرحت عنها نير اليهودية الثقيل- سامعيها المستعدين، إذ وجدوا فيها أفضل وأسمى مما جذبهم نحو اليهودية، و بلا قيود أو معوقات...

اليونانيون<sup>(33)</sup>: كثيراً ما نلتقى فى سفر أعمال الرسل بهذه التسمية " اليونانيون " .. فمن هم هؤلاء اليونانيون أو كما يسمون الهيلينيين؟ هم يهود الشتات الذين عاشوا خارج فلسطين، وتكلموا اليونانية... كانت جماعات كبيرة من هؤلاء اليونانيون يسكنون أورشليم- وكانت لهم طرق معيشتهم الخاصة، التى وجدت طريقها إلى يهود أورشليم. ونستطيع

(30) كالتحان وحفظ السبت وعدم أكل الخزير وبعض المأكولات، ورفض الأوثان... إلخ

(31) يغلب على الظن أن تلك القيود كانت هى نفس القيود التى فرضت فى العهد القديم على الغريب الذى يقيم بين بنى إسرائيل (انظر لاويين

17، 18).

(32) انظر: أع 13: 42، 43، 50، 17: 4، 18: 7.

(33) Schaff, vol.1.p.87; Weiss pp.165-167; De pressense ,vol.1.p.54; Hill, p.56, L Eglise primitive, p.56

أن نفهم مما ورد في (أع 6: 9). أن بين المجمع العديدة التي كانت في أورشليم، وجدت مجامع خاصة باليونانيين... بعضها كان خاص بيهود القيروان والاسكندرية، وبعضها كان خاصاً بأهل كيليكية واقليم آسيا... وهكذا. ومن المحتمل أن كلمة مجمع المذكورة في (أع 6: 9) لا تعنى مجرد البناء، بل قد تعنى أن هؤلاء اليهود الذين تكلموا اليونانية، إتحدوا في جماعات قومية... وتجمع هذه الجماعات في مجامع مستقلة، يعنى أن اللغة اليونانية كانت هي المستخدمة بينهم. وقد توقع الجمع في الهيكل أن يخاطبهم بولس باليونانية، فلما خاطبهم بالعبرية إندهبوا " وأعطوا سكوتاً أحرى " (أع 22: 2). والشمامسة السبعة الذين أقامهم الرسل، حملوا أسماء يونانية... وكان ستة منهم يهوداً بالمولد، والسابع- وهو نيقولاوس- كان دخيلاً أنطاكياً، أى أنه ولد أماًياً.

وقد فقد هؤلاء اليونانيون بعضاً من مميزاتهم اليهودية، نتيجة حياتهم في الأقاليم الأخرى خارج بلاد اليهودية... ومن هنا فقد كان يهود فلسطين يحتقرون هؤلاء اليهود اليونانيين، نتيجة إثارة الفريسيين لكبريائهم القومي... فكانوا ينظرون إليهم على أنهم أدنى منهم دينياً، نتيجة إختلاطهم بالأمم الوثنية... بل إعتادوا أن " يضعوهم في مرتبة طلائع الوثنية... بين هؤلاء اليونانيين وجدت الكنيسة الأولى أكثر المهتدين إستعداداً لقبول الإيمان...

## العالم الوثني

امتزجت الوثنية بالردنية... حتى الديانة الاغريقية... وهي نتاج عقول مبدعة- كانت مليئة بالشر والفساد... والحق أن الوثنية- بصفة عامة- كان ينقصها الإدراك الحقيقي لمعنى الخطية وبالتالي لمفهوم القداسة<sup>(34)</sup>. ونكتفى هنا بإلقاء بعض الضوء على الحالة الفكرية، والحالة الأدبية في العالم الوثني...

1- الحالة الفكرية: لم تكن الفلسفة في القرن الأول الميلادي حدثاً جديداً بل كان وراءها تاريخ طويل معقد. وكانت قد قطعت مراحل عدة في أبحاثها النظرية... وكان لدى الأغريق القدماء منذ زمن سحيق عبادات وثقافات لم تشبع العقول الباحثة، فلجأت إلى تفكير جديد، وإلى أساليب من البحث والاستقراء، لعلها تبلغ الحق الذي تنشده... كان بعض الفلاسفة الأولين ملحدين، لكن أكثرهم آمن بوجود إله في مكان ما، أو حتى آلهة كثيرة... على أنهم لم يعبأوا بما قد تحدثه معرفة ذلك الإله أو تلك الآلهة في أخلاق الناس وحياتهم العملية... وسخر الفلاسفة من القول بالوحي والإلهام... وحاولوا بالمشاهدة والتأمل، وبالعقل والفكر، أن يستكشفوا دخائل طبيعة الإنسان والكون المحيط به. ومن هؤلاء الفلاسفة المفكرين، برز جهابذة العقل الذي ابتكروا الآراء الجديدة، وجمعوا حولهم طوائف من التلاميذ والاتباع. وهكذا ظهرت " مدارس " الفكر المختلفة.

أخذ الرومان- سادة العالم وقتذاك- فلسفتهم عن الأغريق. لكنهم لم يقبلوها كما هي، بل أحدثوا فيها تعديلات وتحويرات حسبما إستحسنتم ملكاتهم العقلية وقواهم الفكرية،

فأضافوا إليها وحذفوا منها ما أرادوا... فقد كان الروماني عملياً في تفكيره، لا خيالياً. فأخذ من الفلسفة الأبيقورية ما وجد فيه عوناً له في حياته العملية، وتوطيداً لسلطانه وسيادته...

وقد ذاعت فلسفات متنوعة في القرن الأول المسيحي منها: الفلسفة الرواقية، والأبيقورية، وفلسفة المشائين أتباع أرسطو، والفيثاغورية، والأفلاطونية، والكلبية Cynicism وهي فلسفة ديوجينيس<sup>(35)</sup>... على أن أهم تلك المدارس الفلسفية شأنًا في فجر المسيحية، كانت الأبيقورية والرواقية<sup>(36)</sup>.

الفلسفة الأبيقورية: جاهرت الأبيقورية بنزعتها المادية وإحادها الصريح بمعاداة الدين، وتهجمت على قدسيته، لأنها اعتبرت إلتماس الأمان مثلها الأعلى. فأدى بها هذا النظر إلى أن التوقف عن الاعتقاد في الدين، أدعى للأمان من الإيمان به. ومن ثم يصبح الإيمان بالدين خطية، بل أضحي عند بعضهم مبعث كل شر...

حاول أبيقور أن يجتث الدين من أساسه، فاعتبر الخوف هو الباعث الرئيسي على الإيمان، فعمل على تحرير العقل البشري من هذا الخوف، لينحل ما ترتب عليه من آثار...! ومضى في نزعاته المادية، مؤكداً خلو الكون من كل حكم إلهي<sup>(37)</sup>... وقد نادى الأبيقورية بأن الآلهة تستمتع بنعيمها، وتعيش بمعزل عن الناس... لا تعبأ بأمرهم، ولا تعنى بحياتهم. لذا لا يليق بالبشر أن يرهبوا تلك الآلهة... كما رفضت الأبيقورية القول بالعبادة الإلهية... على أن الفلسفة الأبيقورية كما مارسها الرومان، كانت عقيدة سلبية، إذ خلت من كل رجاء في الخلود، ومن كل دافع من دوافع الخير، وكان شعارها: [لنأكل ونشرب ونطرب، فغداً نموت]<sup>(38)</sup>.

الفلسفة الرواقية: كانت الفلسفة الرواقية لدى الرومان في مستوى أرقى من الأبيقورية، ولم تكن مجرد فلسفة بل غدت ديناً اعترف بإله واحد، روح إلهي، منه تصدر كل الأشياء، وإليه مصيرها... وتؤمن الرواقية أن بكل إنسان شعاعة من الطبيعة الإلهية. ومهمة الإنسان أن يصون هذه الشعاعة، ويضرم نارها لتبقى مشتعلة منيرة... وتؤمن أن أعظم هبة وهبها للإنسان هي العقل. ومن ثم فإنه يحق للبشر أن يكونوا أبناء الله... وقد ألهبت هذه الفكرة نفوس الرواقيين، وأمدتهم بعزاء وهدى في حياتهم اليومية... وكانت الرواقية عقيدة الأقوياء وأصفياء النفوس، الذين مالوا بطبعهم إلى الخير، وإلى كل المعنويات الطيبة الجميلة... كما أكدت كثيراً على ضبط النفس وترويضها وتنمية الحياة الداخلية، أو الحياة المتناسقة كما يدعوها فيلسوفهم الأول زينون... ولعل نواحي السمو في فلسفتهم ترجع إلى أن الفكرة المحورية عندهم هي الحياة بمقتضى الطبيعة. والطبيعة في اعتقادهم هي " اللوغوس " أو العقل الكوني. وفي رأيهم أن العقل الإنساني ليس سوى جزء من هذا العقل الكوني...

(35) Latourtte ;A History of christianity ,pp26-27

(36) ذكرهما القديس لوقا في سفر أعمال الرسل، وتقابل بولس الرسول مع فلاسفتها في أثينا (أع 17:18).

(37) توفيق الطويل، قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص 72، 73

(38) أشار القديس بولس الى ذلك في (1كو 15: 32).

لقد جاء أولئك المفكرون بأفضل ما لديهم، لكن لم تخرج جهودهم عن نطاق التفكير النظري، ولم تقو نظرياتهم على مغالبة الحياة وعثراتها... وثمة أمر هام يجب الإشارة إليه، وهو أن الفلسفة لم تكن يوماً لعامة الناس، الذين لم تقو مداركهم العقلية على تفهماها... وهكذا فشلت نظريات أولئك الفلاسفة المفكرون عن إمتلاك عامة الناس، ولم تمس إلا عقول المفكرين والمتقنين وحدهم. هكذا وجدت المسيحية تربة حقل العالم مستعدة، لتزرع فيها زرعها الجيد، فأتى بثمر كثير...

**2- الحالة الأدبية:** لعل خير وصف يمكن أن توصف به أدبيات العالم الوثني إبان ظهور المسيحية، هو ما دونه القديس بولس إجمالاً في رسالته إلى مؤمنى رومية، وفيه يصف فساد العبادة والأخلاق (رو1: 18-32)- أما تفسير كلام الرسول المجمل، فيمكن تبيانه بالنظر إلى النقاط التالية:

(أ) الفساد المتصل بالعبادة<sup>(39)</sup>: لم يقف الأمر بين الوثنيين عند حد عبادة الأصنام، وابدال مجد الله الذى لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذى يفنى والطيور والدواب والزحافات (رو 1: 23)، بل تعداه إلى شرور أخرى... لقد شاع بين بعض الشعوب القديمة طقس تقديم الذبائح الأدمية إرضاء للآلهة... فكان الصوريون والقرطاجنيون يلقون بأطفالهم فى النار كتقدمة للإله مولك Molokch<sup>(40)</sup>. وفى غالبا ( بفرنسا) كان الكهنة يذبحون الضحايا الأدمية... وما لبثوا أن استبشعوا هذه الوحشية، وأبطلها مجلس الشيوخ الرومانى بقرار أصدره سنة 95 ق. م. لكن بلبنى الأكبر فى القرن الأول الميلادى، يروى لنا أن أمثال هذه الضحايا البشرية، كانت ماتزال تقدم فى أيامه !!

وليس هذا فحسب، بل أن طقوس الديانة الوثنية إمتزجت بالدعارة. بل أن العهاوة كانت جزء من الخدمة الدينية عند البابليين وبعض الشعوب السامية وغيرها !! وكانت هذه الرذيلة جزء من عبادة أفروديت Aphrodite آلهة الجمال عند الأغريق فى معبدها فى كورنثوس. كما اتسمت أعياد بعض الآلهة بالاحتفالات التهتكية التى يندى لها الجبين ولا يليق وصفها... ومن هنا نفهم سبب الإشارة إلى التهتك والدعارة وأنواع الشذوذ الجنسى التى ذكرها بولس الرسول فى أول رسالته إلى كنيسة رومية - تلك الرسالة التى أنفذها من كورنثوس ، والشر مائل أمام عينيه!!

والرومان- على الرغم من تقديرهم المبكر للحشمة واللياقة - أباحوا طقوساً مخالفة لذلك. وقصص الأساطير التى إستخدمت لإثارة الميول الدنيئة، مثلت فى صور وتمائيل، وزادت من شدة تيار الفساد، الذى حطم حواجز العفة... ولا عجب، فقد كانت الآلهة الوثنية فى الشعوب الراقية، بشراً ولها أجسام وحواس... يولدون لكن لا يموتون، يأكلون ويشربون، ينامون ويستيقظون ويسافرون ويخوضون غمار المعارك... يتزوجون

<sup>(39)</sup> Fisher ;Beginnings of christianitym,p.198

<sup>(40)</sup> انظر: لا 18 : 21 ؛ 20 : 2 ؛ 4 : 1 مل 1 : 1 ؛ 7 : 2 مل 23 : 10 .

ويتناسلون، وحياتهم مملوءة بغيرة ومشاجرات وحسداً وغضباً وكرهية وشهوة.

(ب) وأد الأطفال<sup>(41)</sup>: يرجع الفضل فى الإحساس الحالى بالكيان الإنسانى، وحرمة الحياة الإنسانية إلى المسيحية... فمن الأمور التى كان القانون القديم يقرها حق الوالدين فى إبادة أطفالهم، الذين يظن أنهم غير صالحين للتربية... فى بلاد اليونان كان مثل هؤلاء الأطفال، أما يقتلون للفقر، أو يتركون حتى يهلكون جوعاً... ومما يثير الدهشة أن مفكرى الاغريق وفلاسفتهم لم يكونوا- فى هذا الأمر- أفضل من سائر الناس... فلقد أقر أرسطو عادة تعريض الأطفال للموت، إذا أريد منع إزدیاد عدد السكان. وكان يومئذ بالإجهاض كشيء بديل، إذا وجدت أية موانع. وأفلاطون فى جمهوريته. اعتقد أن الأطفال المولودين من آباء أشرار، والأطفال غير الشرعيين، وأطفال الوالدين المسنين، يجب إبادتهم بتركهم عرايا، إذ لا يجب أن يتقل على الدولة بهم... أما الرومان فكان لديهم قانون يمنع وأد الأطفال، لكنه لم يكن نافذاً. و يروى لنا المؤرخ الوثنى سوتونيوس *suetonius* فى القرن الأول الميلادى، كيف عرض للموت أطفال كثيرون مولودون حديثاً، بقصد تكريم جرمانيكوس *Germanicus*. أما الإجهاض الذى أباحه أرسطو وأفلاطون للأغريق، فقد كان شيئاً مألوفاً لدى الرومان، تخلصاً من مخاض الولادة، وتعب تنشئة الأطفال.. !!

(ج) مكانة المرأة<sup>(42)</sup>: ربما لا يوجد تناقض صارخ أكثر من وضع المرأة فى الوثنية ومكانتها فى المسيحية... كان وضعها فى الوثنية محتقراً... كانت خادمة الرجل، وليست نظيره وشريكة حياته.. لم يفهم العالم القديم طبيعة الزواج الروحية، ونظر إلى المرأة على أنها للمتعة الجسدية فقط !! كانت وجهة النظر التى سيطرت على أفلاطون- فيما يختص بالنساء- أن الهدف الأول من العلاقة الزوجية، هو تكوين مواطنين أقوياء فى البنية، ذوى عقل سليم، حتى أنه جعل مجتمع الزوجات إحدى مميزات الجمهورية المثالية.. كان للمثقفين فى اليونان صديقات ومحظيات من العاهرات. وفى روما شاع الفساد ، حتى قال المعاصرون أن فضيلة الأنثى لا وجود لها فى روما... أما الزيجات فكانت لا تستمر طويلاً، نتيجة كثرة حالات الطلاق بصورة مزعجة، حتى أن سينكا *sanica* فى القرن الأول الميلادى يقول: [ أما النساء فلا يحسبن الزمان بعدد القنصل، بل بعدد أزواجهن] !! وفى نفس الوقت إستشرى الفساد الأخلاقى والزنا والدعارة، حتى غدا المجتمع الرومانى المعاصر بالوعة فساد... وثمة ظاهرة واضحة ميزت ذلك العصر، وهى إحجام الرجال عن الزواج، لأنهم

(41) Fisher ;Beginnings of christianity,p 206-208

(42) schaff;Dictionary of Biblical,Hoxtorical...Theology,vol.3.2548;fisher;Beginnings of christianity,pp199-202

فضلوا المتعة الطائشة على رابطة الزيجة.. وقد فشلت جهود أوغسطس قيصر للنهوض بالزواج، بإصدار تشريعات قانونية، تقدم بموجبها مساعدات مالية لمن يتزوجون!! وفى حالات الزيجات، كان الأطفال قليلى العدد فقد فضل الوالدون - لأسباب مالية- أن يظلوا بلا أطفال تقريباً...

وكان المثل الأعلى للفساد فى المجتمع الرومانى، هو الأسرة الإمبراطورية الحاكمة. يكفى ما دونه المؤرخ المعاصر تاكيتوس عن الشرور الخيالية التى كانت تفعلها ميسالينا Messalina زوجة كلوديوس الأول، لنعلم إلى أى درك من الخلاعة والفجور والتهتك والدنس، هبطت سيدة روما الأولى.. وقد كان هذا الفساد منتشرأ فى الأقاليم كما فى العاصمة...

(د) الشذوذ الجنسى<sup>(43)</sup>: الشذوذ الجنسى الذى صوره بولس الرسول فى الأصحاح الأول من رسالته إلى رومية، كان متفشياً بين الإغريق، وانتقل إلى الرومان عن طريقهم. ومن العجيب أنه ينذر أن نلتقى بفيلسوف أو مفكر يونانى يندد بهذه الرذيلة، ويدين هذه العلاقة غير الطبيعية... أما نتيجة هذه الخطية- حسبما لاحظ أفلاطون وبلوتارك- فهى تنفير الرجال من الزواج، وقلة عدد سكان بلاد اليونان، بالإضافة إلى تحطيم الشعب أدبياً.

وفى روما، ترعرعت هذ الخطية، وتلوث بها كثيرون من رجال السياسة والقضاة وقادة الجيش، بل والأباطرة انفسهم (مثل يوليوس قيصر)... أما معظم الضحايا فكانوا من العبيد.. على أن الأمر لم يكن قاصراً على العبيد، بل كان متفشياً بين الغلمان الأحرار أيضاً.. والقصص التى تروى عن رجل كيوليوس قيصر واستمرائه هذه الرذيلة، تصور لنا إلى أى حد وصل هؤلاء الناس فى مضمار الرذيلة والدنس والإنحلال الأخلاقى.

(هـ) الرق<sup>(44)</sup>: كان الرق أحد دعائم الوثنية الأساسية، وجثم كلعنة على كل الشعوب، يستوى فى ذلك الشعوب المتخلفة والمتحضرة كالأغريق والرومان... كانت أعداد العبيد أضخم من المولودين أحراراً والمعتقين. ويقدر المؤرخ جيبون Gibbon عدد العبيد تحت حكم كلوديوس قيصر بما لا يقل عن نصف إجمالى سكان الإمبراطورية الرومانية- أى نحو ستين مليوناً!!

لقد أيد أعظم فلاسفة العالم القديم نظام الرق، كنظام طبيعى وضرورى. وأعلن أرسطو أن جميع البرابرة (غير المتحضرين) عبيد بالمولد، وأنهم لا يصلحون لشيء سوى الطاعة. وفى القانون الرومانى، ليس للعبيد كيان فى الحكومة، ولا اسم، ولا لقب، ولا سجلات... ليس لهم حق الزواج، ولا حماية لهم ممن يريد أن يرتكب معهم الفحشاء - كانوا- كما يصفهم أحد الكتاب [فى حالة أسوأ بكثير من الماشية]...

(43) Fisher ;Beginnings of christianity,p 205-206  
Schaff,vol.1p p445,446(44)

لقد طرد كاتو -cato- عضو الشيوخ الروماني الشهير- عبيده من البيت والوطن بعد أن طعنوا في السن. وهديان الذي يعتبر من أكثر الأباطرة الرومان عدلاً، قلع عن عمد عين أحد عبيده بقلمه !! كانوا ينظرون للعبد أنه بلا ضمير... لذا ان دعى للشهادة في أى أمر، كان لابد وأن يعذب مقدماً حتى ما يستنطقوه الحق... قد تؤخذ منه زوجته لتصبح محظية سيده، أو لتصير عاهرة، دون أن يكون له حق الاعتراض !!  
أما الإماء، فكان الموت شراً أهون من العار الذى لصق بهن دائماً - كان الرق يغذى العهارة والفسق فى كل صورهما... كان للسيد الحرية المطلقة فى أن يبيع أمته وبناتها الصغار اللائى أنجبتهن منه إلا إذا تفضل ورأى الإبقاء عليهن. وكان القانون لا يحمى الأمة من الدنس. لم يكن لها حرية الإختيار فى الدنس بالنسبة لسيدها، بل كان يمكنه أن يُعيرها- لنفس الغرض الشرير لمن يشاء... كانت المرأة الحرة هى وحدها التى يكفل القانون حماية شرفها، لأن القانون لم يكن يحمى سوى الأحرار ... أما العبيد فلم يكونوا فى نظر الرومان، سوى جسد فقط<sup>(45)</sup>!!

(و) الرفاهية والإسراف والترفيه<sup>(46)</sup>: تميز هذا العصر بترفه وإسراف الموسرين والأشراف والتدبير لحياة الجسد. وحرصت الطبقات الراقية على إقتناء الحلى والمجوهرات والتحف الفنية، وإقامة البيوت الفخمة، والتفنن فى كل ضروب البذخ ... كما تميز أعضاؤها بالشراسة فى تناول الأطعمة... ويروى لنا شيشرون وصف مقابله مع يوليوس قيصر فى منزله الريفى وكيف أنه تعاطى مقيئاً قبيل موعد الطعام، حتى ما يكون أكثر قابلية لتناول أكبر قدر من الأطعمة !! لم تكن هذه حادثة فريدة، بل كانت عادة يتبعها المترفون من الرومان... وكانت موائد العشاء تمتد إلى ساعة متأخرة من الليل- وكانت تمتاز بالسكر والعهارة.

وإلى جانب نواحي البذخ المختلفة، قامت وسائل الترفيه... وكانت وسائل الترفيه شيئاً أساسياً فى حياة الرومان، وتقف جنباً إلى جنب مع الخبز الضرورى لقيام الحياة... وكان السيرك فى عهد يوليوس قيصر به مقاعد تتسع لمائة وخمسين ألفاً، أضاف إليها تيطس مقاعد لمائة ألف أخرى ... ومن المناظر التى ألفها الرومان وكانت تلذ لهم، المصارعات الدموية سواء بين البشر أو بينهم وبين الوحوش المفترسة. كانت مثل هذه المصارعات الدموية أكبر دليل على مدى الإحساس الأدبى لدى مجتمع ذلك العصر، الذى كان يقبل على هذه الألعاب بسرور متزايد... ونحن نعجب كيف كان ممكناً لرجال ونساء أن يستمتعوا بمناظر الألم والموت، تلك التى مجرد ذكرها يثير فى النفس نوازع الفزع...!!

<sup>(45)</sup> De pressense.vol.,1.p425

<sup>(46)</sup> Fisher ;Beginnings of christianity,p p .22-205,211-220

## الإمبراطورية الرومانية (47)

كانت ميزة للمسيحية المبكرة أنها ظهرت في وقت كانت فيه بلاد اليهودية خاضعة للإمبراطورية الرومانية القوية المنظمة، التي كانت تعتبر بصفة عامة إمبراطورية عادلة... ولا يمكن التكهن بمستقبل المسيحية في فلسطين، لو كانت السلطات اليهودية تتمتع وقتئذ بحرية التصرف المطلق... فالسلطات الرومانية هي التي مكنت بولس الرسول من السفر آمناً في البر والبحار، ليبشر بالإيمان الجديد في بلاد سوريا وآسيا الصغرى وعبر البحار في اليونان وإيطاليا وأسبانيا... لذا من الأفضل أن نلقى ضوءاً سريعاً على هذه الإمبراطورية في القرن الأول الميلادي، فذلك يعيننا على فهم الكثير من مسئوليات وتصرفات السلطات الرومانية التي نقرأ عنها في الأناجيل. وسفر أعمال الرسل ...

إمتدادها: كانت الإمبراطورية الرومانية تمتد إمتداداً واسعاً وتضم ممتلكات في قارات العالم القديم الثلاث المعروفة وقتذاك. كانت تضم داخل حدودها، ما يُعرف الآن باسم هولندا وبلجيكا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال وسويسرا وجنوبي النمسا وإيطاليا، وكل شبه جزيرة البلقان، وآسيا الصغرى وسوريا وفلسطين ومصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب، والنصف الجنوبي من الجزيرة البريطانية. وكان البحر المتوسط يعتبر بحيرة رومانية.

ولاياتها: باستثناء بعض الحالات الخاصة، فعلى الرغم من إتساع ممتلكات الإمبراطورية، فإنها كانت تتكون من ولايات يحكمها ولاية فرضتهم السلطة المركزية في العاصمة روما، ويخضعون للقانون الروماني وأنظمة الضرائب الرومانية. كان من الطبيعي- والحال هذه- أن ينضوى تحت لواء الإمبراطورية مجموعات ضخمة من السكان في بقاع شاسعة، يختلفون في طبائعهم ودياناتهم، ولا تتساوى حضارتهم وثقافتهم. كان نصف الإمبراطورية الشرقي يقوم أساساً من اليونانيين، أو من الشرقيين الذين تأثروا بالحضارة الهيلينية، وتأقلموا معها... وكان كثير من بلاد هذا الشرق لا يقل حضارة وعلماً عن روما، بل كان البعض- مثل الاسكندرية وأثينا- يفوقها في هذا الشأن... وبالإضافة إلى الاسكندرية وأثينا، وجدت في الشرق مراكز ثقافية هامة أخرى مثل أنطاكية وطرسوس وأزمير.

أما في الغرب فلم يوجد سوى مرسيليا... كانت الحضارة الأغريقية هي المسيطرة، ولم تجد اللاتينية طريقها إلى الشرق. كان الرومان يحكمون هذا الشرق عسكرياً فقط، لكن لم يكن ممكناً أن يتحول سكانه إلى رومان. أما في الغرب فقد اختلف

الموقف، لأن الرومان تعاملوا مع شعوب أقل منهم حضارة وثقافة، فاستطاعوا أن يفرضوا عليهم لغتهم وحضارتهم، ويصبغوهم بالصبغة الرومانية.

حكومة الولايات: كانت الولايات- سواء شرقية أو غربية- تلتزم ببعض المبادئ العامة من القانون والنظام الروماني، لكنها لم تكن جميعها خاضعة لنظام موحد... فقد وجدت الحكومة الرومانية أن من الحكمة في بعض الحالات أن تترك لكل شعبا تقاليده وأنظمتها وعبادته، طالما لا تتعارض هذه مع مصالح الدولة- وكان يحدث دائماً عند بداية ضم ولاية جديدة إلى الامبراطورية، أنت تحضر بعثة مؤلفة من عشرة أعضاء من مجلس الشيوخ الروماني، للاستفسار ودراسة كل الظروف وأحوال هذه الولاية... وبعد الدراسة اللازمة للنظم القائمة القانونية والمالية والإدارة المدنية، ومواردها وسكانها، كانت توضع خطة أو دستور للولاية تحدد صورة حكومتها المقبلة، بما يتلاءم مع النظام الروماني الامبراطوري، ويحدد قدرتها وطريقة إسهامها في ميزانية الامبراطورية. كان المتبع أن أراضى البلاد المهزومة تصبح ملكاً للمنتصر. لكنها أقيمت في أيدي أصحابها مقابل جزية يدفعها الأهالي إما مالياً أو منتجات. أما المناجم فكانت تنتقل ملكيتها للامبراطورية... وإلى جانب ضريبة الأرض، دفعت الشعوب المقهورة " جزية الأفراد " ... وكان تكييف هذه الأنواع المختلفة من الضرائب يتطلب إحصاء منظماً. فإذا قرأنا في إنجيل لوقا أنه في وقت ميلاد السيد المسيح " صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن تكتب كل المسكونة " ( لو 2: 1) نفهم أن هذا الاجراء كان من أجل الضرائب...

السلام الروماني Pax Romana: كانت الامبراطورية الرومانية في القرن الأول الميلادي في حالة سلمية مستقرة بصفة عامة... كانت الطرق مأمونة، والبحار خالية تقريباً من القراصنة. وكان السفر عبر الامبراطورية أمراً ميسوراً، نتيجة للطرق الممتازة التي شقها الرومان عبر الامبراطورية، التي كانت تمتد ممهدة من مركز إلى آخر. واستطاعت الحكومة - عبر خطوط المواصلات هذه- أن تمد إشرافها الدقيق على الولايات الخاضعة لها، وترسل عند الضرورة إمدادات حربية لقواتها المرابطة... هذه الطرق، وهذا السلام إستفاد منه الرسل والمبشرون في تنقلاتهم ورحلاتهم التبشيرية عبر الامبراطورية.

حقوق المواطنة الرومانية: حقوق المواطنة الرومانية<sup>(48)</sup>، أو كما يسمونها " الرعوية الرومانية "، كان لا يتمتع بها سوى الأحرار. وبموجبها كان حاملها يتمتع ببعض الامتيازات وفي مقدمتها حماية القوانين له، وعدم الضبط بالقيود أو السجن بدون محاكمة رسمية (أع 22: 29)، وعدم الجلد (أع 16: 37)، وحق المثول والتقاضى أمام محكمة قيصر بروما (أع 24: 11)... وكانت هذه الرعوية الرومانية، يحصل عليها إما

(48) smith Dictionary of Bible, vol 1 ,part1.p.612

بالشراء (أع 24: 28)، أو بالخدمة العسكرية، أو بموجب منحة من الدولة. وكان هذا الإمتياز الذى يتمتع به شخص ينتقل إلى أولاده أيضاً كما فى حالة القديس بولس الرسول (أع 22: 28).

## أيام الانتظار ومولد الكنيسة

1- بين القيامة والصعود: أهم ما يميز مدة الأربعين يوماً بين قيامة السيد المسيح وصعوده، ظهوراته لتلاميذه .. ولقد كان لتلك الظهورات آثار هامة:  
لقد أكدت لهم حقيقة قيامته من بين الأموات بما لا يدع مجال لأى شك (أع 1: 3)، ورفعت من معنويات الرسل، وملأت قلوبهم فرحاً وعزاء (يو 20: 20) ... كما أن تلك الفترة كانت بمثابة فترة تمهيدية لأعمال الخدمة والكراسة فى المستقبل القريب، لقن فيها السيد المسيح تلاميذه كثيراً من المعلومات التى ما كانوا يحتملونها قبل ذلك (يو 16: 25؛ أع 1: 14) ... ويؤكد ذلك أن تلك اللقاءات لم تكن مجرد ظهورات خاطفة، بل إمتدت واستطالت. ومن أمثلتها الرحلة التى صحب الرب فيها تلميذى عمواس بعد ظهر يوم أحد القيامة، وقطع المسافة من أورشليم إلى عمواس، وهى ستون غلوة أى نحو سبعة أميال، وتستغرق أكثر من ساعتين مشياً على الأقدام. وخلال هذه الرحلة " إبتدأ من موسى، ومن جميع الأنبياء، يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب" (لو 24: 13-27) ... وأيضاً الظهور الثالث الذى أظهر فيه ذاته لتلاميذه عند بحر طبرية، ومكث فيه معهم من الصباح حتى ما بعد الغذاء (يو 21: 4-15).

2- بين الصعود ويوم الخمسين: بعد أن إرتفع السيد المسيح عن تلاميذه عند جبل الزيتون، وصعد إلى السماء، رجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم ( لو 24: 52) ... وكان فرحهم لأنه صعد إلى الأب (يو 14: 28)، ولأنه سيأتى ثانية (أع 1: 11) ... وفى أورشليم اجتمعوا فى العلية التى كانت فى بيت أم مارمرقس الكاروز... وهناك كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبه مع نساء مؤمنات، فى مقدمتهن مريم العذراء...

لقد أوصاهم الرب أن يذهبوا إلى العالم أجمع، و يكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها، لكنه فى نفس الوقت أمرهم بالبقاء فى أورشليم، إنتظاراً لموعد الأب (الروح القدس) ... بل لقد حذرهم من مبارحتها قبل أن يلبسوا قوة من الأعلى (لو 24: 49؛ أع 1: 4) ... وفى هذه الفترة، كان لابد أن يختاروا تلميذاً خلفاً ليهودا الخائن... واشترطوا أن يكون أحد الذين اجتمعوا معهم كل الزمان منذ معمودية يوحنا إلى ذلك الوقت، حتى يشهد معهم بقيامة الرب المجيدة، التى ستصبح حجر الأساس فى العمل الكرازى الجديد كما سنرى... فصلوا وطلبوا إلى الرب أن يظهر إختياره لأحد اثنين: يسطس أو متياس... ثم

ألقوا قرعة (49) فوَّعت على متياس ( أع 1: 15- 26 )، فصار واحداً من الاثنى عشر.

**3- يوم الخمسين:** فى اليوم الخمسين لقيامة السيد المسيح، وفى الساعة الثالثة بالتوقيت العبرى (التاسعة صباحاً بتوقيتنا)، أثناء إحتفالات اليهود فى أورشليم بأحد أعيادهم الكبرى- وهو عيد الخمسين- حل الروح القدس على الرسل والتلاميذ - جميع الموجودين بالعلية- بينما كانوا مجتمعين بها بنفس واحدة، إذ صار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة، وملاً كل البيت حيث كانوا جالسين.. ظهرت لهم السنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم، وامتلاً الجميع من الروح القدس (أع 2: 1-4).

لقد إختار الرب هذه المناسبة عند اليهود موعداً لمولد كنيسته، حيث تتم رموز وإشارات... لذا يحسن أن نفق قليلاً لنعرف شيئاً عن هذا العيد عند اليهود...  
كان لهذا العيد اليهودى ثلاث تسميات: عيد الحصاد (خر 23: 16)، وعيد أوائل الثمار (عد 28: 26)، وعيد الأسابيع (تث 16: 10، 9؛ لا 23: 15). وأطلق عليه عيد الخمسين لأنه يقع فى اليوم الخمسين بعد الفصح اليهودى... كان هذا العيد من حيث تسميته بعيد الأسابيع، يبدأ مباشرة بعد عيد الفصح، بتقديم أولاً حزمة من حصاد الشعير، وينتهى فى عيد الخمسين بتقديم أول رغيفين من حصاد القمح. وكان يُحتفل بعيد الخمسين يوماً واحداً. وهو من أعياد اليهود الثلاثة الكبرى السنوية (50)، التى كان على جميع ذكور بنى إسرائيل أن يظهروا فيها أمام الرب إلههم (تث 16).

كان هذا العيد عند اليهود عيد فرح وبهجة. وكان يقع فى أطف فصول السنة. ولذا كان يجذب أعداداً ضخمة من اليهود الزائرين من البلاد والأقاليم الأخرى إلى أورشليم. ويصف يوسيفوس المؤرخ اليهودى هذا العيد ويتكلم عن عشرات الآلاف الذين كانوا مجتمعون حول الهيكل فى هذه المناسبة (51)... وكان عدد كبير من اليهود الوافدين من بلاد بعيدة إلى أورشليم لحضور عيد الفصح، يبقون فيها حتى يحضروا هذا العيد أيضاً.  
كان عيد الخمسين إذن- بحسب ما جاء فى الكتب المقدسة- هو عيد الحصاد أو عيد أوائل الثمار أو عيد الأسابيع... لكنه كان أيضاً- طبقاً لتقليد الربيين فى التلمود- هو عيد الاحتفال السنوى بتذكار تسلم الشريعة فى سيناء... فقد قيل أن موسى استلم الشريعة فوق جبل سيناء، فى اليوم الخمسين لخروج بنى إسرائيل من مصر. ومن هنا جاءت تسميته بالعبرية " عيد البهجة بالناموس " كانت هناك عادة يهودية قديمة حرص اليهود عليها فى العصر الرسولى... كانوا يقضون الليلة السابقة لعيد الخمسين فى تقديم الشكر لله من أجل عطية الناموس (52)...

(49) هذه هى المرة الوحيدة التى ذكر فيها استخدام القرعة فى العهد الجديد.

(50) الأول عيد الفصح (عيد الفطير)، والثانى عيد الحصاد (الخمسين) حيث يقدمون فيه أبار غلاتهم التى يزرعونها فى الحقل، والثالث عيد المظال وهو عيد الجمع فى نهاية السنة عندما يجمعون غلاتهم من الحقل.

(51) Josphus Antiquities, 14 13.4

(52) مازال اليهود حتى الآن يحرصون على هذه العادة، فيزينون بيوتهم ويزينون هم أيضاً تعبيراً عن إبتهاجم باعطائهم الشريعة- انظر:

**4- العيد التأسيسي للكنيسة:** لا شك أن الله الذي يتم كل أموره بحكمة، إختار مناسبة هذا العيد اليهودى ليجعل منه عيداً لمولد الكنيسة، فأرسل روحه القدوس بقوة على رسله وتلاميذه، وأسس كنيسته على الأرض... كانت فرصة هذا العيد اليهودى أكثر ملاءمة لتأسيس الكنيسة المسيحية من عدة وجوه، بالنظر للمدلولات اليهودية للعيد... لقد كانوا يحتفون به كعيد لحصاد المزروعات، فأضحى عيداً لحصاد الزرع الجيد الذي هو بنو الملكوت (مت 13: 38)... وكانوا يحتفلون به كعيد لأوائل الثمار الزراعية، فغدا في المسيحية عيداً لأوائل الثمار الخلاصية، حين إنضم إلى الكنيسة في ذلك اليوم ثلاثة آلاف نفس<sup>(53)</sup>... هذا بالإضافة إلى ثمار الروح القدس التي تكلم عنها الرسول (غل 5: 22) ... ثم أنهم كانوا يحتفلون به كتذكاري لإعطائهم الشريعة المكتوبة على لوحين من حجر، فأصبح عيداً للروح القدس، روح الحياة، الذي كتبت به وصايا الله<sup>(54)</sup> - لا في ألواح حجرية، كما حدث في القديم، بل في ألواح قلب لحمية (2 كو 3: 3).

وثمة نظرية أخرى ... فالعدد خمسين يشير الى العفو والصفح ... ففي العهد القديم، كانت تقديس السنة الخمسون، ويعفى المديونون من ديونهم، ويحرر العبيد " وتقدسون السنة الخمسين، وتنادون بالعنق في الأرض لجميع سكانها. تكون لكم يوبيلاً، وترجعون كل إلى ملكه، وتعودون كل إلى عشيرته " ( لا 25: 10) كانت هذه السنة تبدأ بيوم الكفارة، حين يضربون بالبوق إيذاناً ببدء سنة اليوبيل ... فالعدد 50 إذن كان ينظر إليه كرمز للعفو عن الديون...

يقول فيلو الفيلسوف اليهودى عن عيد الخمسين [ اليوم الخمسين بعد نهاية سبعة أسابيع، العيد المقدس للعفو والصفح ] . وكليمنضس الاسكندري يرى في العدد خمسين الصفح عن الخطايا، ويضرب كمثال أبعاد فلك نوح، فقد كان عرضه خمسين ذراعاً. ويقول كليمنضس أنه إستقى هذا الرأي من تقليد قديم<sup>(55)</sup> ... والعلامة أوريجينوس - في مقالاته على سفر التكوين- يفسر أبعاد الفلك بطريقة رمزية فيقول: [ عرض الفلك خمسون، وهو العدد الذي يدل على الغفران والصفح، وحسب الناموس، كان هناك زمان للمسامحة في الديون كل خمسين سنة]<sup>(56)</sup>. ويقول في تفسيره لإنجيل متى<sup>(57)</sup> [ العدد خمسون يتضمن الغفران بناء على سر اليوبيل الذي كان يقع كل خمسين سنة. أو العيد

<sup>(53)</sup> يقول القديس يوحنا الذهبي فمه [ ما هو عيد الخمسين؟ هو الوقت الذي يعمل فيه المنجل للحصاد. لقد كمل الزمان لأن يوضع منجل الكلمة. لأنه كما أن المنجل حاد، كذلك انحدر الروح القدس. " ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول، إنها قد ابيضت للحصاد ". وأيضاً " الحصاد كثير والفلة قليلون ". وكأوائل ثمار هذا الحصاد، أخذ هو طبيعتنا وحملها إلى العلاء. قدم ذاته أولاً بالمنجل ] انظر: john

#### chrysostom Homilies on the Acys. Hom.4:

<sup>(54)</sup> في صلوات السجدة اتى ترفعها كنيسةنا في الساعة التاسعة (الثالثة بعد الظهر) يوم عيد الخمسين (العنصرة)، يقول في مقدمة السجدة الأولى: " في عيد الخمسين بعد الفصح أعطى الله الشريعة لموسى " ... والنبوة التي تقرأ في هذه السجدة الأولى تتناول موضوع تسليم الشريعة لبنى إسرائيل. وفي نبوة السجدة الثانية تذكير بحفظ هذه الوصايا- وفي نبوة السجدة الثالثة يتكلم عن الثلاثة أعياد الكبرى في إسرائيل وهي الفصح والخمسين والمظال. (انظر كتاب اللقان والسجدة).

<sup>(55)</sup> Stromata,6.11

<sup>(56)</sup> Hom.Gen,11.5

<sup>(57)</sup> Hom Matt,11.3

الذى يقع فى يوم الخمسين<sup>(58)</sup>.

ثم أن عيد الخمسين اليهودى، كان أكثر ملاءمة لتأسيس الكنيسة، من جهة الجماهير التى كانت تحضره. فقائمة الشعوب التى أوردتها القديس لوقا فى (أع 24: 8-11)، كانت على وجه التقريب تشمل أنحاء الامبراطورية الرومانية التى كانت بدورها تضم معظم العالم القديم المعروف وقتذاك... والغرباء الذين ذكرهم لوقا كشهود للحادث الكبير، كانوا تقريباً يمثلون كل الأقاليم التى غرست فيها المسيحية فيما بعد بواسطة كرازة الرسل... ومما لا شك فيه أن أولئك الذين آمنوا فى يوم الخمسين، حملوا إيمانهم الجديد إلى إخوتهم، قبل أن يصل إليهم الرسل فى كرازتهم. وهذا يوضح لنا وجود مسيحيين فى دمشق قبل إيمان بولس (أع 9: 2)، ووجود عدد كبير من المؤمنين فى روما، قبل أن يكتب لها بولس رسالته بوقت كبير (رو 1: 8).

كان إعطاء الشريعة فى سيناء مصحوباً بعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل، وصوت بوق شديد جداً، إرتعد منه كل الشعب الذى كان فى المحلة<sup>(59)</sup>... لذا لا نعجب إن جاءت كنيسة العهد الجديد إلى الوجود أيضاً بعلامات عجيبه ملأت المشاهدين دهشة وحيرة (أع 2: 6، 7).

لقد صاحب حلول الروح القدس على الرسل والتلاميذ مظاهر ثلاثة: صوت كما من هبوب ريح عاصفة، وظهور السنة منقسمة كأنها من نار استقرت على كل واحد منهم<sup>(60)</sup>، والتكلم بالسنة أخرى... والريح فى كتاب العهد القديم نراها رمزاً للقوة الروحية الخلاقة<sup>(61)</sup>، رمزاً للعمل غير المنظور (يو 3: 18)، والحرية السامية التى للروح القدس " حيث روح الرب هناك حرية " (2 كو 3: 17)... والنار كانت معروفة لدى بنى إسرائيل. فقد حل الله على جبل سيناء بالنار (خر 19: 18)، وهى تكتنف مجد الله (حزقيال 1: 4). وهى تشير إلى عمل التطهير الذى للروح القدس (إش 6: 6، 7)... والتكلم بالسنة<sup>(62)</sup> هو تصويب لما حدث قديماً عند برج بابل حينما بلبل الرب لسان هؤلاء الأشرار (تك 11: 1-9). يقول أحد الآباء: [ إن الكنيسة فى تواضعها، تعيد وحدة اللغة التى كسرتها قبلاً الكبرياء ]<sup>(63)</sup> ومهما يكن من أمر، فإن حلول الروح القدس على التلاميذ فى ذلك اليوم وصيرورتهم هيكل لله ومسكن لروحه، لهو أكبر معجزة فى حياة البشر الداخلية، لأنهم به نالوا طبيعة جديدة عوضاً عن الطبيعة القديمة التى أفسدتها الخطية والإثم.

5- عظة بطرس: التى ألقاها فى يوم الخمسين (أع 2: 14-36)، هى عظة بسيطة،

<sup>(58)</sup> Jean Danielou. The Bible and The liturgy, pp.324-326

<sup>(59)</sup> خر 16: 19؛ عب 12: 18، 19

<sup>(60)</sup> فى تقاليد اليهود القديمة، أنه ظهرت أسنة من نار فى أول عيد خمسين احتفلوا به بعد خروجهم من مصر- انظر smith

Dictionary of Bible, vol 3 ,p.1556(footnote)

<sup>(61)</sup> انظر: تك 1: 2؛ 1 مل 19: 11؛ مز 104: 3، 4؛ حزقيال 37: 1-14.

<sup>(62)</sup> عالجتنا موضوع التكلم بالسنة بالتفصيل فى الفصل الخاص بالمواعظ الروحية

<sup>(63)</sup> فى تقاليد اليهود القديمة أن كل كلمة خرجت من فم الله فوق جبل سيناء، كانت تنقسم إلى السبعين لغة التى لبنى البشر فى ذلك الوقت،

وأن صدى صوت الله كان يسمعه كل إنسان بلغته انظر: SMith Dictionary of the Bible ,vol.3p.1556(footnote):

لكن روح الله الذى كان يصحب كلماتها، نخس قلوب السامعين ... فلما سألوا الرسل عما ينبغى أن يعملوه، أجابهم: " توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس " ... وهكذا إنضم إلى الكنيسة فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف نفس...

أما عن موضوع العظة، فباستثناء الربط الذى ربط به القديس بطرس أحداث تلك الساعة بنبوذة يوثيل النبي، نجد أن هدف العظة الكبير، هو إثبات أن يسوع الناصرى الذى قتله اليهود ظلماً وقام من الأموات، هو عينه المسيا الذى تنبأ عنه داود، وجاء من نسله حسب الجسد. لكن التركيز الأكبر فى العظة كان على قيامة الرب يسوع من بين الأموات (أع 2: 24، 27، 32، 31).

6- أثر يوم الخمسين: "امتلاً الجميع من الروح القدس" (أع 2: 4) ... هذه هى الأعجوبة الحقيقية الداخلية، ومحور ما حدث فى يوم الخمسين- ونلاحظ أن الروح القدس لم يحل على الرسل وحدهم، بل حل على كل التلاميذ (كل المؤمنين) المجتمعين فى العلية منتظرين موعد الأب، وكان عددهم مائة وعشرين<sup>(64)</sup> (أع 1: 15).- كان ما حدث فى يوم الخمسين هو الوحي العظيم الذى أعانهم فيما بعد ليصبحوا معلمين ملهمين نوى سلطان للإنجيل، سواء باللسان أو القلم- وما كان غامضاً صار الآن واضحاً مفهوماً لهم.- لقد كشف لهم الروح القدس عن حقيقة الفادى وعمله على ضوء قيامته المجيدة، وملك على عقولهم وقلوبهم...

<sup>(64)</sup> يقول القديس يوحنا الذهبى فمه أهل الروح القدس على الإثنى عشر فقط؟ كلا، بل على المائة وعشرين، والألا استشهد بطرس بما قاله  
يونيل النبي (يونيل 2: 28، 29)- انظر Homily 4 on the Acts.